

الصياد والعفريت

في طبعة ألف ليلة وليلة التي اعتمدت عليها، تبدأ حكاية الصياد العفريت في الليلة الثالثة وتنتهي في الليلة التاسعة، وكما يحدث كثيراً في هذا الكتاب، فإن حكاية الصياد ترتبط بحكايات أخرى، أي أنها تتوقف لتفسح المجال لأربع حكايات، ثم تستأنف بعد ذلك. مبدئياً ينبغي أن آخذ بعين الاعتبار الحكايات الخمس، نظراً للعلاقة الوثيقة والخفية التي يفرضها الجوار، إلا أنني سأكتفي بحكاية الصياد. صحيح أنني باختياري هذا سأقطع رجلي النص، لكن لي بعض العذر. فلا يُعقل أن أقوم بتلخيص الحكايات لأنّ التلخيص يشتت ذهن القارئ، بالإضافة إلى كونه ليس بالعملية البريئة.⁽¹⁾

(1) نتكلم أحياناً عن القراءة المعرضة، أو التأويل المفرض، ويقصد بهذه العبارة القراءة التي تصدر عن سوء نية، عن نية سيئة للإساءة إلى النصّ المقروء أو إلى صاحبه. ما هي، بالمقابل، القراءة غير المفرضة؟ أي التي تصدر عن حسن نية؟ ولكن ما معنى حسن النية عندما يتعلّق الأمر بالقراءة؟ يكفي أن نضع السؤال ليبرز - فيما أعتقد - مشكل كبير، وهو: كيف ينبغي أن نقرأ؟ ما هي شروط ومقاييس القراءة الجيدة؟ هذا السؤال يثير بدوره مشكلاً من نوع آخر: من سيحكم على قراءة ما بأنها جيّدة أو رديئة؟ من سيقول القول الفصل؟ ما هو سلّم به اليوم أن القارئ يقرأ النصّ انطلاقاً من اهتمامات تخصّه أو تخصّ الجماعة التي ينتمي إليها، فيهدو دائماً، من خلال قراءته، إلى غاية، إلى غرض. سواء أكان حسن النية أم كان سيئها، فإنّه يسعى إلى إثبات غرض من الأغراض. بهذا المعنى فإن كل قراءة مفرضة!

ولذلك يشبه القارئ بيروكوست. وبيروكوست هذا قاطع طريق يوناني كان يعدّب ضحاياه بطريقة فريدة من نوعها. كان له فراشان: فراش كبير وفراش صغير، فكان يطرح المسافرين الطويلي القامة على الفراش الصغير والمسافرين القصيري القامة على الفراش الكبير. ثم يعمد إلى أرجل الطويلي القامة فيقطعها لأنها تتمسّك بالفراش الصغير. أمّا القصيرو القامة فكان يجذب أرجلهم حتى يكونوا تماماً على قدّ الفراش الكبير... بشيء من المبالغة ==